العمر بطول والحاجة مع الشيب شديدة واقلها في الباب ان يشغل قلبك ويضيع عليك
وقتك الرابع قسوة القلب ونسيان الاخرة لانك اذا املت العيش الطويل لا تذكر الموت
والقبر فاذا يصير فكرك ومعظم قلبك في حديث الدنيا واسباب العيش فيقسو القلب
من ذلك انما رقة القلب من ذلك بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب واحوال الاخرة
واذا لم يكن شيء من ذلك فمن اين يكون القليل رقة وضعف قال الله تعالى فطال عليهم
الامد فقست قلوبهم فانك اذا اطولت املك قلت طاعتك وتاخرت توبتك وكثرت
معصيتك واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت غفلتك عن العاقبة فذهبت
العياذ بالله تعالى فاي حال اسوء من هذه واي افة اعظم من هذه وكل هذا بسبب طول
الامل واما اذا قصرت املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك واخوانك
الذين عاقصهم الموت في وقت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فاحذر ما تيسر المغرور
كم من مستقبل يوما اخذه لم يستكمله ومنتظر غدا لم يدركه لو رايت الاجل ومره لا بغضت
الامل وغروره اما سمعت قول عيسى عليه السلام الدنيا ثلثة ايام امس مضى لم يبد لك
منه شيء وغدا لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنم وقال ابو ذر رضه الدنيا
ثلثة ساعات ساعة مضت وساعة انت فيها وساعة لا تدري اتدركها ام لا
قلت لا تملك في الحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت من ساعة الى ساعة وقال شيخنا
الدنيا ثلثة انفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم
من متنفس نفسا فجاءه الموت قبل النفس الاخر فلست تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة
فبادر في هذه النفس الواحد الى الطاعة قبل ان تفوت والى التوبة لعلك في النفس الثاني
تموت اعلم ان الامل له سببان احدهما الجهل والاخر حب الدنيا فهو انه اذا انس بها
وبشهواتها ولذاتها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن ذكر الموت هو ذكر سبب
مفارقتها فمن نفسه ابدا بما يوافق مراده وهو البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه
ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وولد واهل ودار
واصدقاء ودواب وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر فيلهو عن

ذكر

ذكر الموت فان خطر له في بعض الاوقات امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد
نفسه وقال الايام بين يديك والى ان تكبر ثم تتوب واذا اكبر فيقول والى ان تصير شيخا واذا
صار شيخا يقول حتى ان يفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ارجع من هذه
السفر او اتفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له فلا يزال يسوف ويوخر
يوما بعد يوم ويقضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تخطفه المنية في وقت لا
يحتسبه ويطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم في النار من تسوف يقولون
واحسرتاه من مسوف واصل هذا الاماني حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله
عليه السلام احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه
ويستبعد قرب اجله مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل
من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي
وشاب قد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاءة ولا يدري انه ذلك غير بعيد
وان كان ذلك بعيد والمرض فجاءة غير بعيد وكل مرض انما يقع فجاءة واذا امرض لم يكن الموت
بعيدا ولو تفكر هذا الغافل ان ليس له وقت معين ومدة معلومة من شباب وشيب
وكهولة وصيف وشتاء وربيع وخريف وليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد
له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعاه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت
القريب فهو ابدا يظن انه يشيع الجنازة ولا يقدر تشييع جنازته لانه قد تكرر عليه والفه وهو مشاهد
موت غيره واما موت نفسه فلم تالفه وانه لا يقع واذا وقع لم يقع دفعة اخرى فهو الاول وهو
الاخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان يحمل ويدفن في قبره فلعل اللبن الذي
يغطي به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض فاذا عرفت ان
سببه وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي في القلب الحاضر و
بسماع الحكمة البالغة في القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه ولا علاج
الى الايمان بالله واليوم الاخر وبما فيه في عظيم العقاب وجزيل الثواب ومنهما حصل
له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الحطير هو الذي يمحو عن القلب حب

Copyright © King Saud University